تحرّر من البطالة

المقدّمة

تُعَدُّ البطالة من أخطر الأمراض الاجتماعية والاقتصادية التي تُصيب الأمم، فهي ليست مجرّد حالةٍ من الفراغ المهني، بل هي داءٌ عضال يفتك بكيان المجتمع ببطءٍ، حتى يُفقده حيويّته، ويقوده إلى موتٍ بطيءٍ كما يُلفظ الكائن أنفاسه الأخيرة في صعودٍ شاقٍّ نحو السماء، على نحو ما يُصوّره التعبير القرآني في قوله تعالى: **((كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ))**[1].

إنّ ظاهرة البطالة ليست وليدة عصرٍ بعينه، ولكنّها تفاقمت في الأزمنة الحديثة بفعل التحوّلات الاقتصادية والتقنية، وتراجع القيم الاجتماعية الداعية إلى العمل والسعي، حتى أضحت من أعقد التحديات المعاصرة التي تواجه الشباب على وجه الخصوص، وأخطرها على الاستقرار المجتمعي والنفسي.

ومن هنا، جاءت مبادرة مؤسسة المصطفى للإرشاد والتوعية الدينية بخطوةٍ جريئةٍ تهدف إلى مدّ يد العون لكلّ من عانى من البطالة أو ضاع في متاهة الحيرة والمعاش، فكان هذا البيان الموسوم بـ(تحرّر من البطالة) لبنةً أولى في مشروعٍ توعويٍّ يهدف إلى بعث روح العمل والإنتاج، وخدمة الإنسان بوصفه خليفة الله في الأرض.

إعداد: السيد أباذر الموسوي الخرسان

تعريف البطالة لغةً

أصلُ لفظ (البطالة) من الفعل بَطَلَ، يقال: بَطَلَ الشيءُ إذا ذهب سُدىً ولم يُنتج نفعًا، وبَطَلَ العاملُ إذا تعطّل عن العمل وخَلَتْ يدُه من الفعل والإنتاج[2].

فاللفظُ في أصله يحمل دلالةَ الخُمُول والكسل، وما يفضي إليه من العَدَمِ والفَناء، وكأنّ الإنسان العاطلَ بَطَلٌ عن الحياةِ ذاتها، إذ بطَلَ نفعُه وانقطع خيرُه.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢٥.

(٢) ابن منظور، جمال الدين محمد، لسان العرب، ج١١ ص٥٧، مادة (بطل).

تعريف البطالة اصطلاحًا

أمّا في الاصطلاح الاقتصادي والاجتماعي، فال بطالة هي:

حالةٌ من العُطلة القسرية تصيب أفرادًا قادرين على العمل، راغبين فيه، باحثين عنه بجدٍّ، غير أنّهم لا يجدون فرصةً مناسبةً تُتيح لهم المشاركة في النشاط الاقتصادي مقابل أجرٍ معلوم.

وقد وضعت منظّمة العمل الدولية (ILO) معايير دقيقة لتصنيف الشخص في خانة (العاطل عن العمل)، وهي[١]:

١- أن يكون قادرًا على العمل جسديًّا وعقليًّا.

٢- أن يكون راغبًا في العمل ومُبديًا استعدادًا له.

٣- أن يكون باحثًا عن العمل بصورةٍ نشطةٍ ومنتظمة.

٤- ألّا يجد فرصةً مناسبةً بالرغم من أهليّته وكفاءته.

وبناءً على هذه المعايير، فإنّ البطالة لا تقتصر على الكسل أو عدم الرغبة، بل تشمل مَن حُرِم من حقِّ المشاركة الإنتاجية رغم توفّر الإرادة والقدرة.

تمهيد وتحليل الظاهرة

إنّ البطالة ليست رقمًا اقتصاديًّا جامدًا، يُقاس في جداول الإحصاء فحسب، بل هي ظاهرةٌ اجتماعيةٌ مركَّبة تتشابك فيها الأبعادُ الاقتصاديةُ والسياسيةُ والنفسيةُ والثقافية. فحينما تتعطّل طاقاتُ الشباب، تتعطّل معها عجلةُ التنمية، ويُصاب الجسدُ الاجتماعي بالشلل والاضطراب.

ولذلك كانت البطالةُ في حقيقتها إهدارًا لرأس المال البشري الذي يُعدُّ أعظمَ ثروةٍ تمتلكها الأمم. فهي تُبدّد الطاقات وتُطفئ الحماسة وتُولِّد الشعور بالعجز واليأس. ومع طول المكابدة يتحوّل العاطلُ من عنصر بناءٍ إلى عبءٍ على المجتمع، بل وقد يصبح في بعض الحالات بؤرةً للانحرافات الأخلاقية أو الفكرية أو السلوكية.

---

(١) منظمة العمل الدولية (International Labour Organization)، دليل مفاهيم العمل والبطالة، جنيف، ٢٠٢٢م.

إنّ أخطرَ ما في البطالة أنّها تسرق المعنى من الحياة، وتُطفئ في القلب شمعة الأمل، وتجعل الإنسان يشعر بالغربة في وطنه، فيفقد انتماءه وقيمته. وقد عبّر أمير المؤمنين (عليه السلام) عن خطر التعطّل بقوله: **(مَنْ وَجَدَ مَاءً وَتُرَاباً ثُمَ افْتَقَرَ فَأَبْعَدَهُ الله)**[1].

ومن هنا كان لزامًا على الحكومات والمؤسسات والمجتمعات أن تتعامل مع البطالة لا كأزمةٍ ماليةٍ فحسب، بل كقضيةٍ وجوديةٍ تمسُّ كرامة الإنسان. فالمجتمع المنتج هو المجتمع الذي يُشرك أبناءه في البناء، ويمنحهم أدوات العمل وأسباب الكفاية، لأنّ العمل في الإسلام عبادةٌ وكرامة، لا مجرّد وسيلة عيش. قال الإمام الصادق (عليه السلام): **(الْكَادُّ عَلَى عِيَالِهِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله)**[2].

الغاية من هذا البحث

جاء هذا البحث ليقدّم رؤيةً تحليليةً وتوجيهيةً لظاهرة البطالة من منظورٍ إنسانيٍّ وإيمانيٍّ، محاولًا أن يفتح أمام الشباب نوافذَ جديدةً في التفكير والعمل، وأن يُعيد الثقة إلى النفوس بأنّ العمل شرفٌ وعبادة، وأنّ لكلّ إنسانٍ طاقةً يمكن أن تكون لبنةً في صرح النهضة إذا وُجِّهت التوجيهَ الصحيح.

وإنّ معالجة هذه الظاهرة لا تكون إلّا بتضافر الجهود بين الفرد والدولة والمؤسّسات، عبر تأهيل الإنسان علميًّا ومهاريًّا، وتحفيز الاستثمار والإنتاج الوطني، وتعزيز ثقافة العمل الحرّ، مع ربط القيم الدينية بالمسؤولية الاجتماعية، لأنّ البطالة ليست قَدَرًا محتومًا، بل عجزٌ قابلٌ للعلاج متى ما وُجد الإيمان والإرادة والتخطيط.

أسباب البطالة

إنّ البطالة لا تولد من فراغ، بل تنشأ من تداخل أسبابٍ متشابكةٍ تجمع بين الجهل وسوء التدبير، وضعف الدولة، وتغيّر البُنى الإنتاجية، والعوامل السياسية والاقتصادية العالمية. ومن ثَمّ فإنّ فهم عللها هو الخطوة الأولى نحو التحرر منها.

---

(١) الشيخ الحر العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة، ج١٧ ص٤١.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج٥ ص٨٨.

١- الجهل والفقر النفسي

إنّ الجهل هو أصل البلاء ومصدر الداء، إذ هو الذي يطفئ نور الفكر ويعطل حركة العمل. فالعاطل الجاهل لا يحسن اختيار طريقه، ولا يعرف كيف يستثمر طاقاته ومواهبه. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): **(الْعِلْمِ إِمَامِ الْعَمَلِ وَالْعَمَلِ تَابَعَهُ، يلهم بِهِ السُّعَدَاءَ وَيُحَرِّمْهُ الْأَشْقِيَاءِ، فَطُوبَى لِمَنْ لَمْ يُحَرِّمْهُ الله مِنْهُ حَظُّهُ)**[١].

ويضاف إلى الجهل الفقر النفسي، وهو ضعف الإرادة واستكانة الروح، بحيث يفقد الإنسان ثقته بنفسه، ويخشى الإقدام على العمل أو خوض غمار التجربة، فيظل أسيرًا للعجز، متعللًا بالظروف. إنّ مثل هذا الإنسان وإن امتلك القدرة الجسدية، فإنّه فقيرٌ إلى العزم، عاجزٌ عن تجاوز الخوف من المجتمع ومن الفشل.

٢- انحصار فرص العمل واحتكار المهن

من أبرز أسباب البطالة احتكار الموارد وفرص العمل في فئةٍ أو جماعةٍ بعينها، بحيث تُغلق الأبواب في وجه الكفاءات الأخرى. فحين تستأثر طبقةٌ محدودة بالصناعات والتجارة، أو حين تُنشأ المصانع والمعامل لتخدم مصالح فئوية، فإنّ ذلك يولّد شعورًا بالغبن، ويُعطل القدرات العاملة في المجتمع. وقد أشار القرآن إلى فساد الاحتكار في كل صوره بقوله تعالى: **((كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ))**[٢].

٣- ضعف إدارة الدولة وغياب التخطيط

إنّ غياب الرؤية الاقتصادية الرشيدة من أخطر ما يرسّخ ظاهرة البطالة. فالدولة التي لا تمتلك برامج استراتيجية ولا تخطط لمستقبل الأجيال، تُصبح رهينة الأزمات.

وما لم تكن هناك خطط طوارئ واقعية تراعي التحولات الاقتصادية، فستبقى المجتمعات رهينة الارتجال وردّات الفعل، فيتسع الخرق وتُضاعف معدلات البطالة عامًا بعد عام.

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، ص٤٨٨.

(٢) سورة الحشر، الآية ٧.

٤- التطور التكنولوجي السريع

لقد أحدثت الثورة الصناعية الرابعة انقلابًا هائلًا في هيكل العمل والإنتاج، إذ حلّت الآلات والأنظمة الذكية محلَّ الكثير من الأيدي العاملة. ومع أنّ التطور العلمي يمثل ركيزةَ التقدّم الإنساني، إلا أنّه حين لا يُرافقه تأهيلٌ مهاريٌّ وتعليميٌّ مناسب، فإنه يتحول إلى نقمةٍ اجتماعية تُقصي اليد العاملة وتزيد البطالة التقنية.

٥- العوامل الخارجية والمخططات الممنهجة

ليس خفيًّا أنّ بعض القوى الخارجية تمارس أنواعًا من الحروب الاقتصادية الناعمة، تستهدف من خلالها تفكيك بنى الإنتاج الوطني، وإشاعة الفوضى المنظمة، عبر تعطيل فرص التنمية وتشجيع ثقافة الاستهلاك دون الإنتاج.

فإهلاك الأمم -كما قال المفكرون- لا يكون دومًا بالسلاح، بل بزرع البطالة في نفوس شبابها حتى تستنزف طاقتها، وتُصاب بالتبعية الاقتصادية، فيسهل إخضاعها.

نتائج البطالة وآثارها

ما من ظاهرةٍ اجتماعيةٍ إلا ولها انعكاساتٌ واقعية، والبطالة ليست استثناءً، بل هي أخطر ما يُهدد كيان المجتمع ويقوّض أركانه من الداخل.

١- تفشي الفقر وانهيار الكرامة الإنسانية

حين يعجز الإنسان عن العمل، يفقد أهم وسيلةٍ لكسب رزقه وصون كرامته، فينتشر الفقر ويخور المجتمع، وتضيع مكانة الشعوب بين الأمم. وقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): **(الْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ)**[١].

فإذا خرس صوت الفكر والعقل تحت ضغط الحاجة، فقدت الأمة قدرتها على المقاومة، وضعفت أمام أعدائها.

---

(١) الشريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة، ص٤٦٩.

٢- الانحرافات الأخلاقية والاجتماعية

إنّ الفراغَ الممزوجَ باليأس أرضٌ خصبةٌ للانحراف. فالعاطل قد تدفعه الحاجة إلى السرقة أو العنف أو الاحتيال، وقد ينساق إلى المخدرات أو الرذائل، طلبًا لنسيان واقعه. وهذا ما حذّر منه النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) حين قال: **(الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ نِعْمَتَانِ مَكْفُورَتَانِ)**(١).

فالفراغ حين يطول، يُنتج الكفر بالنِّعَم، ويفتح أبواب الفساد.

٣- شيوع المعاملات الربوية والمحرمة

من آثار البطالة أيضًا لجوء الناس إلى المعاملات الربوية أو الديون غير المشروعة، بحثًا عن رزقٍ يسدّ حاجتهم، فيتحول الاقتصاد إلى دائرةٍ من الظلم والاستغلال. والربا -كما ورد في القرآن الكريم- حربٌ معلنة على القيم الإلهية: **((فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ))**(٢).

٤- الاستعمار الاقتصادي والتبعية للأجنبي

حين يعجز المجتمع عن الإنتاج الذاتي، ويعتمد على الخارج في قوته، يصبح فريسةً للاستعمار الاقتصادي. ومن خلال هذه التبعية، تُفرض الحلول الأجنبية التي تستعبد الإنسان وتكبّله بالديون، حتى يلتفّ الحبل على رقبته باسم (الإصلاح).

ولذا فإنّ مقاومة البطالة ليست مجرد شأنٍ اجتماعي، بل هي جهادٌ وطنيٌّ ودينيٌّ لحماية الاستقلال والكرامة.

٥- الاضطرابات النفسية والاجتماعية

تُخلّف البطالة آثارًا نفسيةً عميقة، كالاكتئاب والقلق والتوتر، وتؤدي إلى تفكك الأسرة واهتزاز القيم الاجتماعية، إذ يتحول الفراغ إلى مرضٍ صامتٍ ينهش الذات، فيقود إلى التفكك والانغلاق وفقدان الثقة بالمجتمع.

---

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج٤ ص٣٨١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٧٩.

ما ورد عن مصدر العصمة (عليهم السلام)

لقد أولت مدرسةُ الوحي، المتمثلة بالقرآن الكريم وأهل بيت العصمة عليهم السلام، اهتمامًا بالغًا ببناء الإنسان العامل المنتج، وعدّت العملَ شرفًا وعبادةً، والبطالةَ مرضًا مفسدًا للعقل والدين.

أولًا: ذمُّ البطالة

١- ورد عن النبيّ الأعظم (صلّى الله عليه وآله): **(إنَّ اللهَ يُبغِضُ الصَّحيحَ الفارغَ، لا في شُغُلِ الدُّنيا ولا في شُغُلِ الآخِرَةِ)**[١].

٢- وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): **(إنْ يَكُنِ الشُّغُلُ مَجْهَدَةً فَاتِّصَالُ الْفَرَاغِ مَفْسَدَةٌ)**[٢].

٣- وعنه (عليه السلام): **(القَلْبُ الفارِغُ يَبحَثُ عَنِ السُّوءِ، وَاليَدُ الفارِغَةُ تُنازِعُ إلى الإِثْمِ)**[٣].

٤- وقال الإمام الصادق (عليه السلام): **(مَنْ كَسِلَ عَنْ طَهُورِهِ وَصَلَاتِهِ فَلَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ لِأَمْرِ آخِرَتِهِ وَمَنْ كَسِلَ عَمَّا يُصْلِحُ بِهِ أَمْرَ مَعِيشَتِهِ فَلَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ لِأَمْرِ دُنْيَاهُ)**[٤].

٥- وقال (عليه السلام) أيضًا: **(إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُ كَثْرَةَ النَّوْمِ وَكَثْرَةَ الْفَرَاغِ)**[٥].

٦- وعن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام): **(إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ يُبْغِضُ الْعَبْدَ النَّوَّامَ الْفَارِغَ)**[٦].

---

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١٧ ص١٤٦.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج١ ص٢٩٨.

(٣) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٢٠ ص٣٠٣.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج٥ ص٨٥.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج٥ ص٨٤.

(٦) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج٥ ص٨٤.

هذه النصوص المباركة تُظهر أنّ البطالة ليست ضعفًا اقتصاديًّا فحسب، بل ضعفٌ روحيٌّ وأخلاقيٌّ يورث الذلّ والفساد، وأنّ العمل هو المِعيار الحقيقي لقيمة الإنسان في الدنيا والآخرة.

ثانيًا: خَطَرُ البِطالَة

١- ورد عن ابن عباس، قال: كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فأعجبه، قال: **(هَلْ لَهُ حِرْفَةٌ فَإِنْ قَالُوا لَا قَالَ سَقَطَ مِنْ عَيْنِي قِيلَ وَكَيْفَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حِرْفَةٌ يَعِيشُ بِدِينِهِ)**[١].

فالنبيّ (صلّى الله عليه وآله) جعل العملَ معيارًا للكرامة، والبطالةَ سبيلاً إلى السقوط، إذ إنّ مَن لا يملك وسيلةَ كسبٍ حلال، سيضطرّ إلى استغلال الدين أو التكسّب به.

٢- قال أمير المؤمنين (عليه السلام): **(مِنَ الْفَرَاغِ تَكُونُ الصَّبْوَةُ)**[٢].

أي من الفراغ تولدُ الجهالة، وتميل النفسُ إلى اللهو والعبث، لأنّ العملَ يَصقل العقل ويُهذّب الإرادة، أمّا البطالةُ فتهدمهما معًا.

٣- قال الإمام الصادق (عليه السلام): **(كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ بَطَّالٌ يَضْحَكُ النَّاسُ مِنْهُ فَقَالَ قَدْ أَعْيَانِي هَذَا الرَّجُلُ أَنْ أُضْحِكَهُ يَعْنِي عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ (عليهما السلام) قَالَ فَمَرَّ عَلِيٌّ (عليه السلام) وَخَلْفَهُ مَوْلَيَانِ لَهُ فَجَاءَ الرَّجُلُ حَتَّى انْتَزَعَ رِدَاءَهُ مِنْ رَقَبَتِهِ ثُمَّ مَضَى فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ عَلِيٌّ (عليه السلام) فَاتَّبَعُوهُ وَ أَخَذُوا الرِّدَاءَ مِنْهُ فَجَاءُوا بِهِ فَطَرَحُوهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ مَنْ هَذَا فَقَالُوا لَهُ هَذَا رَجُلٌ بَطَّالٌ يُضْحِكُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ قُولُوا لَهُ إِنَّ لِلَّهِ يَوْماً يَخْسَرُ فِيهِ الْمُبْطِلُونَ)**[٣].

(١) الشعيري، محمد بن محمد، جامع الأخبار، ص١٣٩.
(٢) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، ص٤٧١.
(٣) ابن بابويه، محمد بن علي، الأمالي، ص٢٢٠.

إنّ هذا الردَّ النبويَّ العلويّ يحمل حكمةً تربويةً عميقة، إذ يجعل من البطالة مقدّمةً للخسران في الدنيا والآخرة، لأنّها خيانةٌ للوقت، وإهدارٌ للحياة التي منحها الله للإنسان ليعمر بها الأرض.

ثالثًا: مواقف الأئمّة (عليهم السلام) مع الأصحاب

لقد أراد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أن يبنوا مجتمعًا قائمًا على ثقافة العمل لا ثقافة الاتكال، وأن يحرّروا الإنسان من الوهم القائل إنّ الرزق يأتي من غير سعيٍ ولا جهد.

١- ورد عن علي بن عبد العزيز قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): **(مَا فَعَلَ عُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ أَقْبَلَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَ تَرَكَ التِّجَارَةَ فَقَالَ وَيْحَهُ أَ مَا عَلِمَ أَنَ تَارِكَ الطَّلَبِ لَا يُسْتَجَابُ لَهُ- إِنَّ قَوْماً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله (صلّى الله عليه وآله) لَمَّا نَزَلَتْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ أَغْلَقُوا الْأَبْوَابَ وَأَقْبَلُوا عَلَى الْعِبَادَةِ وَقَالُوا قَدْ كُفِينَا فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ (صلّى الله عليه وآله) فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ مَا حَمَلَكُمْ عَلَى مَا صَنَعْتُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تُكُفِّلَ لَنَا بِأَرْزَاقِنَا فَأَقْبَلْنَا عَلَى الْعِبَادَةِ فَقَالَ إِنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ عَلَيْكُمْ بِالطَّلَبِ)**[١].

إنّ هذا الحديث الشريف يبيّن أن العبادة لا تُغني عن السعي، وأنّ الله تعالى جعل العمل جزءًا من الإيمان، وأنّ الرزق لا يُنال بالدعاء وحده، بل بالسعي المشروع.

٢- وعن عمر بين يزيد، سأل الإمام الصادق (عليه السلام) عن رجل قال: لأقعدنّ في بيتي ولأصلينّ ولأصومنّ ولأعبدنّ ربي، فأمّا رزقي فسيأتيني. قال (عليه السلام): **(هَذَا أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ)**[٢].

٣- وقد سأل العلاء بن كامل الإمام الصادق (عليه السلام) أن يدعو له بالرزق، فقال له الإمام: **(لَا أَدْعُو لَكَ اطْلُبْ كَمَا أَمَرَكَ الله عَزَّ وَجَلَّ)**[٣].

(١) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج٥ ص٨٤.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج٥ ص٨٤.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج٥ ص٧٨.

٤- أما الإمام محمد الباقر (عليه السلام) فقال في توبيخ من يتكاسل عن السعي: **(إِنِّي أَجِدُنِي أَمْقُتُ الرَّجُلَ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ الْمَكَاسِبُ فَيَسْتَلْقِي عَلَى قَفَاهُ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي وَيَدَعُ أَنْ يَنْتَشِرَ فِي الْأَرْضِ وَيَلْتَمِسَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَالذَّرَّةُ تَخْرُجُ مِنْ جُحْرِهَا تَلْتَمِسُ رِزْقَهَا)**[١].

إنّ هذه النصوص تؤكّد أنّ الإسلام لا يقرّ التواكل باسم العبادة، بل يربط العبادة بالعمل، ويجعل الكسب الحلال عبادةً قائمةً بذاتها، لأنّ اليد العاملة هي يدٌ يباركها الله، والكسل فيها خيانةٌ لنعمة العمر.

رابعًا: النهي عن الكسل

الكسلُ مرضٌ قاتل، يُعطّل الطاقات ويُميت الهمم، وهو أصل البطالة وأبو الفشل. ولذلك شدّد الإسلام على التحرّز منه والاستعاذة بالله منه:

١- ورد في الدعاء الشريف: **(اللَّهُمَ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْغَفْلَةِ وَالْقَسْوَةِ وَالْفَتْرَةِ وَالْمَسْكَنَةِ)**[٢].

٢- وقال الإمام الصادق (عليه السلام) لبعض أصحابه: **(إِيَّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضَّجَرَ فَإِنَّهُمَا مِفْتَاحُ كُلِ سُوءٍ إِنَّهُ مَنْ كَسِلَ لَمْ يُؤَدِّ حَقّاً وَمَنْ ضَجِرَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى حَقٍّ)**[٣].

٣- قال الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) لولده: **(إِيَّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضَّجَرَ فَإِنَّهُمَا يَمْنَعَانِكَ مِنْ حَظِّكَ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)**[٤].

٤- فالكسل في منطق الإسلام ليس مجرّد ضعفٍ في النشاط، بل هو انحرافٌ في التوجّه الإنساني، لأنه يُفضي إلى الفقر، وسقوط المروءة، وذهاب الكرامة، حتى يصبح صاحبه موضع استخفافٍ وازدراءٍ بين الناس، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): **(إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُ كَمَا تَمَلُ الْأَبْدَانُ فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكَمِ)**[٥].

---

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج٣ ص١٥٨.
(٢) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج٢ ص٥٨٦.
(٣) ابن بابويه، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج٣ ص١٦٨.
(٤) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج٥ ص٨٥.
(٥) الشريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة، ص٤٨٣.

أي جددوا نشاطها ولا تتركوها تذبل بالكسل والخمول.

لقد كان السلف الصالح من أئمة الهدى وأتباعهم نموذجًا في الجدّ والنشاط، لا يعرفون الراحة إلا في العمل، ولا السكون إلا في السعي.

٥- وقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): **(لَا تَكْسَلُوا فِي طَلَبِ مَعَايِشِكُمْ فَإِنَّ آبَاءَنَا كَانُوا يَرْكُضُونَ فِيهَا وَيَطْلُبُونَهَا)**[١].

فالإسلام إذ يدعو إلى النشاط والجدّ، فإنه يربط العمل بالكرامة والفاعلية، ويرى فيه طريقًا إلى الحرية والرفاه والاستقرار. ومن هنا كان الكسل بابًا للفقر، والجدّ سبيلًا إلى العزّة.

كيف نرفع البطالة

إنّ كلّ ظاهرةٍ في الوجود تحمل في جوفها إمكانَ الحلّ، وما من أزمةٍ إلا ولها مخرجٌ لمن أعمل فكره واستنفر إرادته. والبطالة -وإن كانت جرحًا غائرًا في جسد المجتمع- ليست قدرًا محتومًا، بل داءٌ قابلٌ للعلاج متى ما استُنهِضت الهمم، وتضافرت الجهود بين الفرد والجهة العليا، أعني المؤسّسات الوطنية والدولية التي تضبط حركة الاقتصاد والتنمية.

غير أنّ ما نركّز عليه هنا هو مسؤولية الفرد في معالجة حالته الخاصة، لأنّ التغيير يبدأ من الداخل، ومن الذات قبل الدولة، ومن الوعي قبل الإمكان.

١- الفهم الذاتي والمجازفة الواعية

أولُ طريقٍ إلى التحرّر من البطالة هو أن يفهم الإنسان نفسه، ويُدرِك أنّ التحصيل لا يُنال بالتمنّي ولا يُهدى إلى الكسالى، بل هو ثمرةُ مجازفةٍ محسوبةٍ، وخروجٍ من دائرة الراحة إلى ميدان التجربة والمخاطرة.

فالنجاح لا يُولد في الظلال، بل في وهج الشمس، ومن أراد أن يبلغ قمّة الجبل فلا بد أن يجرّب وعثاء الصعود.

---

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج٣ ص١٥٧.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): **(قِيمَةُ كُلِ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ)**[1].

أي أن قيمة الإنسان ليست بما يملك، بل بما يُتقن. فمن أراد رفعةَ نفسه، فعليه أن يكتشف ما يُحسنُه ويُفعّله.

٢- دراسة الذات والمجتمع

لا بدّ للعاطل أن يبدأ بتشخيصٍ دقيقٍ لحالته، كما يشخّص الطبيبُ داء المريض.

فيسأل نفسه:

هل أملك مهارةً محددة؟ هل لديَّ فنّ أو قدرةٌ خاصة؟ ما هي مواهبي الدفينة؟ هل أستطيع أن أفعّلها في مجتمعي، أم أحتاج إلى بيئةٍ جديدةٍ تحتضنها؟

ثمّ يُقيّم بعد ذلك قدرته على تحويل مهاراته إلى مشروعٍ عمليٍّ يواكب حاجة السوق. فإن لم يجد بيئةً مناسبةً في محيطه القريب، فليبحث عنها في مكانٍ آخر؛ فالأرض لله، والرزق في الحركة لا في الجمود.

٣- العلم والمعرفة أساس التحرر

إنّ العلم هو المفصل الأعظم في كسر قيد البطالة. فمن لم يحسن علمًا أو صنعةً، فعمّ يُطلب؟!

إنّ الناس لا تطلب العاطلين، بل أصحاب الكفاءة والخبرة.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): **(العِلْمُ سُلطانٌ، مَن وَجَدَهُ صالَ، ومَن لَم يَجِدْهُ صِيلَ عَلَيهِ)**[2].

فمن أراد أن يَصِلَ إلى موضع الطلب، فليتعلّم ما يحتاجه المجتمع، وليُنمِّ مهاراته بما يجعلُه نافعًا.

إنّ من يتقن الخطابة، أو الفنّ، أو الصناعة، أو النجارة، أو الحرف الدقيقة، يصبح مطلوبًا عند الناس، مرموقًا في مجتمعه.

---

(١) الشريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة، ص٤٨٢.

(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٢٠ ص٣١٩.

ومن هنا قيل: (من جدّ وجد، ومن زرع حصد، ومن علم نفع).

فالتحرر من البطالة يمرّ عبر تحررٍ من الجهل، لأنّ الجاهل عاطلٌ وإن ظنّ نفسه عاملاً، والعالم عاملٌ وإن كان في محرابه يكتب أو يخطط أو يصمم.

٤- الإيمان دافع التغيير

الإيمان هو الشرارة الأولى التي تُضيء الطريق نحو الإصلاح الذاتي، إذ لا يتحرّك الإنسان من دون عقيدةٍ تُحفّزه، ولا ينهض من سُباته إلا إذا شعر أنّ الله قد أمره بالعمل والسعي.

قال تعالى: **((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ))**(١).

فالإيمان هنا ليس شعورًا قلبيًّا مجرّدًا، بل هو طاقةٌ روحيةٌ تُحرّك الإرادة وتبعث على النشاط.

ولهذا كان من المستحبّ أن يتوسّل المؤمنُ بالله تعالى وبأوليائه الصالحين، وخصوصًا الإمام الجواد (عليه السلام) الذي كان مظهرًا للعطاء والسخاء، فيطلب التوفيق والإعانة على العمل، لأنّ الدعاء لا يُغني عن السعي، لكنه يمنح العملَ بركته وتوفيقه.

٥- التخطيط العملي للمشاريع

بعد الوعي والعلم والإيمان، يأتي دور التخطيط العملي الواقعي.

فعلى الفرد أن يكتب مشروعه بيده، لا في خياله، وأن يُحدّد خطواته بوضوحٍ ودقّة، فيسأل نفسه:

ما الذي أستطيع القيام به؟ ما الأدوات التي أملكها؟ ما الموانع التي تواجهني؟ وما الموارد التي أحتاجها؟

ثم يختار من بين مشاريعه ما هو أقرب إلى الإمكان وأوسع في النفع، فيبدأ به، ولو كان صغيرًا، فإنّ العمل الصغير الملموس خيرٌ من الأماني الكبيرة المعطّلة.

إنّ المشروع العملي وإن بدا متواضعًا هو بذرةُ التغيير الحقيقي، لأنّ الله تعالى لا يُبارك في الفكرة حتى تُترجم إلى عملٍ، ولا في الدعاء حتى يُقرن بالجهد.

---

(١) سورة الرعد، الآية ١١.

تنبيهاتٌ وتذكيراتٌ نافعة

في مسيرة الحياة العملية، يحتاج الإنسان إلى بوصلةٍ تهديه وتذكّره بخطوات التوفيق، فمهما بلغ من الجهد، يبقى التوجيه والنصح مناراتٍ تحفظ الطريق. وفيما يلي جملةٌ من التنبيهات العامة التي تُعين الساعي في طريق التحرّر من البطالة وتفتح له أبواب الرزق والمعرفة.

١- متابعة منابع العلم والفنون

على كل من أراد أن يرتقي بمداركه العلمية والعملية، أن يجعل التعلم عادةً يومية، لا موسمية.

فمن أراد أن يُنمّي طاقاته فعليه أن يتابع الدورات والورش التعليمية في الفنون والصناعات التي تمسّ حياته، كصيانة الأجهزة الكهربائية، والإلكترونية، والميكانيكية، وما شابهها من الحرف النافعة.

إنّ الاستزادة من العلم هي المفتاح الأول لتفجير القدرات الكامنة، وبدونها تبقى الطاقة حبيسةَ الجهل لا تثمر.

٢- التدرّب العملي والممارسة الميدانية

بعد المعرفة النظرية، تأتي مرحلةُ الاحتكاك بالميدان العملي، فهي التي تُكسب الإنسان الخبرة والثقة.

ولذلك، فإنّ المبادرة إلى العمل مع أرباب الحِرف، ولو تطوّعًا في البدء، خطوةٌ عظيمة في طريق الكفاءة.

فمن يطرق أبواب الخبرة متواضعًا، يُفتح له باب الرزق مكرّمًا. وكثيرًا ما يكون صاحب الورشة أو المصنع إذا رأى المتدرّب ذا كفاءةٍ وأمانةٍ وإخلاص، ضمّه إلى عمله بعقدٍ كريمٍ وراتبٍ مستقر.

وهكذا تتحوّل التجربة إلى عملٍ دائم، ويُهدم جدار البطالة بلبنة الجهد.

٣- العمل وفق الميل والرغبة

من أعظم أسرار النجاح أن يعمل الإنسان فيما يحبّ، لا فيما يُجبر عليه.

فالحبُّ للعمل يصنع المعجزات، ويُعين على تحمّل المصاعب، ويدفع إلى الإبداع والتفوّق.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): **(مَنِ اشْتَغَلَ بِمَا لَا يَعْنِيهِ فَاتَهُ مَا يَعْنِيهِ)**[١].

فمن عرف ما يحبّ، وسار في طريقه، فسيصنع التميز في مجاله، أما من أُكره على ما لا رغبة له فيه، فسرعان ما يُصاب بالفتور واليأس، ولا يُبدع فيما لا ينبض له قلبه.

٤- معالجة مشكلة رأس المال

كثيرٌ من الناس يتعلّلون بعدم وجود رأس المال لبدء مشاريعهم، وهذه حجّةٌ واقعية من حيث الظاهر، ولكنّها ليست قيدًا مطلقًا.

فمن امتلك العلم والمهارة والجدّ، فإنّ علمه نفسه رأس ماله الحقيقي، وهو القادر على أن يفتح له أبواب العمل شيئًا فشيئًا.

ولكم من عاملٍ بسيطٍ ابتدأ من الصفر، فصار صاحب مشروعٍ كبير، لأنّه جمع بين المعرفة والصبر، وبين الأمانة والإخلاص.

٥- التوسل والدعاء والتوفيق الإلهي

العمل وحده لا يثمر ما لم يُزكَّ بالدعاء، والتخطيط لا يُؤتي أكله إلا إذا سُقي ببركة التوسل بأولياء الله.

فليعقد المؤمن رابطة مناجاةٍ صادقةٍ مع الله تعالى، وليتوسّل بأهل البيت عليهم السلام، وخصوصًا الإمام الجواد (عليه السلام) الذي ورد في شأنه أنّه كافلُ أرزاقِ الشيعة.

فالدعاء يفتح باب التوفيق، والعمل يفتح باب الرزق، ومن جمع بينهما جمع الخيرين.

---

(١) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، ص٤٥٠.

إنّ البطالة -في أغلب الأحوال- لا تنشأ إلا من ذات الإنسان حين يركن إلى الكسل ويقنع بالجمود. أمّا صاحب الوعي والحركة والعلم، فإنّ الأرض تضيق عن احتواء نشاطه، كما تضيق القوالب عن سيلٍ مندفعٍ لا يقف عند حدٍّ ولا يركن إلى سكون.

أيها المؤمن الساعي إلى التحرّر من القيود:

انهض من حالك، وانتقل من الخمول إلى الجدّ، وابحث عن فنٍّ تُبدع فيه، واصنع لنفسك طريقًا يفتح لك أبواب الرزق ببركة العمل والثقة بالله تعالى.

واعلم أنّ الرزقَ بيد الله، لكنه يُعطيه لمن سعى إليه.

أفكارٌ عمليةٌ مقترحة

ولكي لا تبقى الكلمات مجرّد تنظيرٍ، نورد هنا بعض الأفكار العملية التي يمكن أن تفتح أبواب الرزق وتُعين على التحرّر من البطالة، بحسب القدرة والبيئة والميل الشخصي:

١- امتلاك دراجةٍ ناريةٍ لتوصيل الطلبات بأنواعها (طعام، مستلزمات، خدمات).

٢- بيع الزهور ومستلزمات الزراعة، فالأرضُ لا تبخل بخيرها لمن يخدمها.

٣- فتح ورشةٍ صغيرةٍ لتصليح الأعطال في الكهرباء أو الميكانيك أو الإلكترونيات.

٤- مشروع مطعمٍ صغيرٍ أو مأكولاتٍ سريعة، ولو بدأ من البيت.

٥- صناعة الأطعمة المنزلية وتوريدها للمحالّ والأسواق الشعبية.

٦- تعلّم فنّ الإنتاج الصوري والمونتاج وتقنيات الحاسوب، وهي من مجالات العصر الذهبية.

٧- احتراف هندسة الديكور والتصميم والبناء، وتعلّم إعداد الخرائط المعمارية.

٨- التخصّص في فنون الترويج والتصميم وإدارة المشاريع، أو الحصول على شهاداتٍ في التنمية البشرية.

٩- فتح صفحة إلكترونية (بيج) لبيع وتوصيل البضائع الجديدة والمستعملة.

١٠- إتقان علمٍ أو مهارةٍ معينة تؤهّلك للتدريس أو إقامة الدورات والورش التدريبية.

تلك إذن عشرةٌ كاملة، جعلناها نماذجَ لإثارة الفكر وتحريك الطموح، وإلا فميادين الرزق لا تُحصى، وأبواب العمل مفتوحة لمن يقرعها بثقةٍ وإخلاص.

وفي الختام، تبقى كلمة الإيمان هي الزاد الأكبر في هذا الطريق، لأنّ من توكّل على الله كفاه، ومن صدق في سعيه هداه، ومن عمل بنيةٍ طيبةٍ باركه مولاه.